

أنماط الخطوط العربية في كتابة المصاحف و مراحل تطورها.

Patterns of Arabic fonts in the writing of the Koran and the stages of development.

الدكتورة براهيمية فائزة.

قسم علم الآثار

ملخص:

لقد كان للخط العربي في رحلة نشأته مسيرة طويلة تبين أنها كانت بطيئة قبل الإسلام، ثم بدأ يقفز قفزات سريعة بعد نزول القرآن الكريم والاهتمام باللغة العربية حتى وصل إلى درجة الإبداع حيث تناول الخطاطون بالتحسين والتزيين، فاختلقوا له من إبداعهم جماليات وقواعد وأصول، خاصة في كتابة المصحف الشريف. فانبثق فن الخط من حب المسلمين لكتاب الله وتقديسهم له، وصار فناً من أرقى الفنون الإسلامية شأنها وأكثرها قدرة على تمثيل روح الدين الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الخط العربي، المصاحف، الخط الكوفي، خط الثلث، وخط النسخ.

Summary

In the journey of its inception, Arabic calligraphy went through a long process and it turned out to be so slow before Islam. Then it started taking fast leaps after the revelation of the Quran and the interest in the Arabic language until it reached high degrees of creativity when calligraphers dealt with its improvement and adornment. Thanks to their creativity, they invented aesthetics, rules and assets, especially in the writing of the Quran. The art of calligraphy emerged from the love of Muslims towards the Book of God and its reverence; thus it became one of the finest Islamic arts and the most capable of representing the spirit of the Islamic religion.

Keywords: Arabic calligraphy, Quranic, Kufic, Thuluth, and the line of transcription.

تعتبر الخطوط العربية مرآة عاكسة لمدى رقي الفن التطبيقي في عماثر الحضارة الإسلامية، كما تعكس تعلق الأسلاف بدينهم وثقافتهم الإسلامية، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنعمد على تقديم أنماط الخطوط العربية في المصاحف الشريفة، حيث اهتم بها الخطاط اهتماماً بالغاً وعكف على كتابتها بأرقى الخطوط التي زالت تخط بها لحد الساعة.

مقدمة:

تعددت آراء الباحثين و المؤرخين في نشأة الخط العربي* ، فمنهم من يرى انه ذو أصول يمنية أو ما يعرف بالخط الحميري أو خط المسند¹، لكن النظرية النبطية تعد من أهم النظريات التي عاجلت مسألة الخط النبطي، و هذه النظرية نادى بها المستشرقون على أن الخط العربي قد ظهر في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية²، حيث كانت تعيش قبائل النبط والتي استوطنت بلاد الشام قبل الإسلام ، و هم قبائل عربية اتصلت بالأراميين³ و تأثرت بحضارتهم و استخدمت خطهم ،ومن الخط النبطي المتأخر استنبط الخط العربي و الدليل على ذلك النقوش النبطية منها نقش النمارة ،ونقش زيد و نقش حران⁴ ، لما تحمله من مقومات كثيرة في الأصوات و القواعد و المفردات ،ثم أخذ هذا الخط شيئا فشيئا (يتباعد) يتخلى عن بعض التأثيرات النبطية حتى اتخذ الصورة الجديدة له في القرن الخامس ميلادي.

لقد مر الخط العربي بمراحل عديدة، ففي المراحل الأولى كانت الحروف بدائية لا جمال فيها و لا إتقان ولم تكون تكن الكتابة العربية قد عرفت عمليتي الإعجام و الشكل وعلامة الإعراب.

* الخط اصطلاحاً تعددت تعاريفه و أشهرها إنجازا و شمولاً ما ذكره اقليدس من أن الخط هندسة روحية تحدّثها آلة مادية ، أما ابن خلدون يعرفه على أنها رسوم و أشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفوس الإنسانية من معارف و مشاعر .للمزيد من التفاصيل، ينظر: وليد سيد حسنين ،فن الخط العربي المدرسة العثمانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2015 ،،ص: 14

1- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي ، الخطاط الخط العربي و آدابه مصر، 1939، ص: 36

2- عادل الالوسي، الخط العربي و نشأته، ط1 مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008، ص: 31

3- نصر عبد القادر ، كنوز الخط العربي ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع، 2014، ص: 28

4- عفاف المري، عثمان فيدان " المتحف الإسلامي بالشارقة دليل المقتنيات الأول" دائرة الثقافة و الإعلام 2003 ،ص: 9

ومع بداية العصر الإسلامي و نزول الوحي على الرسول محمد^ص ' شرع في تدوين القرآن بهذا الخط البدائي و الذي كان يدعى بخط الجزم أو الخط المشق , و هو الخط الأول الذي اقتطع من المسند الحميري¹ , و كتب به الصحابة . ومنه ضل القرآن الكريم حافز لتطويره و تجويده , فاعمد المسلمون في الفصل في شكل الكتابة ما بين ما يمكن تسميته بالخط المقدس الذي خصص لكتابة القرآن الكريم و بين ما يستخدم في الكتابات اليومية , والراجح أن الخط الذي كتبت به صحائف أبي بكر كان من النوع الجاف الذي يمتاز بجلاله وفخامته و الذي هو في أغلب الظن ما أطلق عليه ابن النديم في كتابه الفهرست اسم (الخط المدني) نسبة إلى المدينة المنورة و الذي سمي فيما بعد باسم الخط الكوفي بعد أن جوده وحسنه أهل الكوفة فنسب إلى هذه المدينة².

بعد ذلك خلافة- وبعد اتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم كثيرا , ظهرت بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكريم على نحو أقلق الصحابة وأولي الأمر منهم , فما كان على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا أن يأمر بنسخ المصاحف من الصحف ونشرها في البلدان , لتكون المصاحف التي بأيدي المسلمين واحدة في الترتيب و الرسم .³ وأصبحت هذه المصاحف تسمى بالمصاحف العثمانية نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان وهي أصل المصاحف الموجودة اليوم , و أكبر الضن أن هذا المصحف كتب بالخط الذي أطلق عليه فيما بعد بالخط الكوفي المصحفي⁴ * مع اختلاف المؤرخين , على أنه الخط المدني ...

1-أنواع الخطوط المستعملة على المصاحف الأولى:

أ-الخط الكوفي :

أما الخط الكوفي فهو ذلك الخط الموزون و الذي يتميز عن غيره بالخطوط المستديرة بقدر كبير من الزوايا

1- محمد طاهر عبد القادر الكردي، المرجع السابق ص 5 6

2- محمد شكر الجبوري ، الخط العربي قيم ومفاهيم و الزخرفة الإسلامية ، الأردن 1997، ص: 45

3- وغانم قدوري الحمد ، " موازنة بين رسم المصحف و النقوش العربية القديمة "، مجلة المورد العراقية المجلد 15 العدد. 4 1986. ص. 31

4- عبد الستار الحلوجي نحو علم المخطوطات عربي، جامعة ، القاهرة 2004 ص: 31.

* بالرغم من الأعداد الكثيرة من الخط الكوفي إلا أنه لم يستخدم من هذه الأنواع في كتابة المصاحف سوى ما أطلق عليه المؤرخين خط الكوفي القديم أو الكوفي البسيط أو مشق المصاحف.

و الذي يقوم على البسط و اليوسة و التربع¹ ، و كانت حروفه كلها بغير نقط ولا ضبط .² ولم تكن هذه المصاحف مذهب ولا توجد بها فواصل،³ و ضل يستعمل في القرن 2هـ، و قد تطور تطورا كبيرا وتنوع منه الخط الكوفي المائل و المشق و المحقق ، و الذي تطور على يد الخطاطين العباسيين في أواخر القرن 3هـ و هو أكثر رقة من الخط الكوفي القديم .⁴

وقد أثار هذه الإشكالية ابن النديم و التوحيدي على أن الكوفي كان له فروع وأنواع حسب الأمصار الأولى و هي الأنواع الخطية الأربعة وهي المكي و المدني، و الشامي و الكوفي ، فيما قبل القرن 4هـ 10م وهي أولى الخطوط العربية التي كتبت بها المصاحف،⁵ لكن مرسوم الخط القرآني لهذه المصاحف كان على شكل واحد أو صورة متقاربة⁶ . (الصورة رقم 1)

أ-1- الشكل و الاعجام على المصاحف الأولى:

ولما انتشر الإسلام في بقاع الأرض و اختلط العرب بالعجم بدء اللحن يظهر في ألفاظهم فخشي العرب أن تفسد ألسنتهم و يتطرق الخطأ إلى القرآن ، فكان أول من وضع الشكل و النحو أبو الأسود الدؤلي لطريقة ابتكاره لطريقة النقط الحمراء المدورة لتمثيل الحركات فجعل صورة الفتحة نقطة فوق الحرف، و الكسرة نقطة تحت الحرف، و نقطة على يمين الحرف المضموم، و التنوين نقطتين وترك السكون بلا علامة،⁷ لم تشتهر طريقة أبي الأسود إلا في المصاحف حرصا على إعراب القرآن أما الكتب الإدارية فكان شكلها نادرا . ثم تطورت هذه النقط بعد الأسود الدؤلي في شكل نقط فمنهم من جعلها مربعة ، ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط. (الصورة رقم 2)

1- ادھام محمد حنش" ، خطوط المصاحف إشكاليات التعريف و حدود التصنيف" ، بحوث ودراسات علم المخطوط العربي 2014، ص: 441.

2- المرجع نفسه.

3- صلاح الدين المنجد ، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى العصر الأموي دار الكتاب الجديد بيروت، 1979 ص: 42

4- عفاف المري ، عثمان فيدان ، المرجع السابق، ص: 14

5- دھام محمد حنش، المرجع السابق، ص: 450

6- الطاهر الكردي، المرجع السابق ص: 42

7- محمد شكر الجبوري، المرجع السابق ص: 69

وقد استمرت طريقة أبي اسود الدولي في التنقيط حتى العصر العباسي حين جأت مرحلة أخرى وهي مرحلة إبدال النقط بعد الاشتباه في حركات الاعجام للحروف،¹ كما حرف الدال و الذال و الباء والياء و الثاء و التاء... الخ مما كان يمثل صعوبة للقارئ فجاء الإصلاح على يد أجمد الفراهيدي وأضاف لها العلامات الأصلية الفتحة و الضمة و الكسرة، كم وأضاف لها خمس علامات أخرى هي السكون و الشدة و المدة و علامة الصلة و الهمزة، وغدا بعد هذا الإصلاح أن جمع الكاتب بين شكل الكتاب ونقطة بلون واحد دون لبس بينهما.

وكان الغاية من الشكل و الاعجام هو حفظ اللغة العربية، و قرأت القرآن الكريم بالصورة الصحيحة دون تحريف أو تصحيف بالرغم من المواقف المعارضة من بعض الفقهاء إلى تكريهه و المحافظة على الرسم العثماني.² أما فواصل الآيات فالملاحظ أنها بدأت في المصاحف الأولى بترك الفراغ بين كل الفراغ الذي كان يترك عادة بين كل كلمة و كلمة، علما أن النبي(ص) عند تلاوته للقران الكريم كان يقف على رؤوس الآيات توجيها لأصحابه أنها رؤوس آيات، حتى إذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها طلبا لتمام المعنى لأية أخرى و أوسع قليلا، ومن هنا كان الناسخون يتكون فراغا بين كل أية و أية أخرى، وقد استغل هذا الفراغ المتروك برسم نقطة فيه على هيئة مثلث ثم استبدلت النقط بشرط رسمت فوق بعضها البعض ثم أحيطت هذه الشرط و تلك النقط بدوائر.³

وضل الخط الكوفي يكتب على المصاحف إلى غاية القرن 4هـ/6هـ 14/10م إلا أن أصبح دوره جزئي و ثانوي ودخل بعدها في غيبوبة ولم يعد له شأن مصحفي يذكر إلا كتابة البسملة.

ب- الخط الجليل وخط الطومار

بلغ الخط في العصر الأموي تقدما ما كان عليه في العصرين السالفين عصر الرسول (ص) وعصر الخلفاء الراشدين، ومن أشهر الخطوط التي كتبت بها المصاحف هو الخط الجليل و خط الطومار بالرغم من تضارب

1- عبد الرازق القيسي تاريخ الخط العربي جامعة بغداد، 2006: صص 50-67.

2- نفسه ص: 73

3 - ص: 223 فيصل نام " المصحف الجامع الجديد دراسة وصفية فنية تحليلية "معهد الآثار جامعة الجزائر العدد 14 2014

الآراء حول الخطين ، حيث يذكر القلقشندي أن المصاحف الأولى كتبت " بخط الطومار أو بخط " قلم جليل مبسوط " فحين هذه التسمية قد أحدثنا بعد عصر عثمان ¹.

نوع اسم الجليل من آداب كتابة القرآن الكريم الذي يقوم على تحليل كتابة القرآن الكريم و الذي يقوم على فخامة الشكل و سعة الصورة و كبر الهيئة في الحروف وأشهر رواه ابن أبي الهياج الذي كان يكتب المصاحف بهذا القلم وكان مجرد من النقاط والحركات ².

أما خط الطومار وخط الصحيفة هو واحد من الفروع الخطية الأولى لقلم الجليل لذا يصعب التمييز بينهما ³، وهو خط يابس مبسوط كله ليس فيه شيء مستديرو لا تدوير، و يتميز بضخامة الحجم ⁴ ويكتب بفرشاة متكونة من أربع و عشرين من شعر حيوان البذرون ⁵.

ج-خط الثلث وخط النسخ:

و لم يزل الخط العربي يأخذ في التحسن إلى أن انتقلت إلى الدولة العباسية، فقد شهدت هذه الفترة أسلوبين هما خط الثلث و النسخ، التي رسخت الأسس الفنية للخط العربي بعد أن شهد هذا الفن عملية انتقال من الأسس اليابسة في رسوم الكتابة الأولى التي كانت سائدة في مكة و المدينة و سوهما إلى الأسس المنسوبة هندسيا و رياضيا التي شاعت منذ القرن 3 هـ و ما بعد على يد أعلام الخط منهم ابن مقلة و بن البواب و ياقوت المستعصمي و غيرهم ⁶.

ومن الأقلام الستة التي ابتكرتها المدرسة العباسية و التي كتبت بها المصاحف هو النسخ و الثلث و هي من الخطوط اللينة ، وقد أطلق عليه النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب و المصاحف ويعود الفضل في تهذيب و

1-صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص:43

2-ادهام محمد حنش ، المرجع السابق، ص:443

3-نفسه، ص: 446

4-يجي وهيب الجبوري المرجع السابق ص: 98

5-ناهض عبد الرزاق المرجع، السابق ص: 96

6-محمد شكر الجبوري المرجع السابق، ص:89

تطوير هذا الخط ابن مقلة و بن البواب ، ويتميز خط النسخ بالوضوح وقلة التدخلات بين الحروف ¹ . وقد وصل هذا الخط قمة نضجه في القرن 7هـ/13م و كثر استخدامه في نسخ المصاحف الشريفة وبفضل نوعيته أصبحت المصاحف أكثر عددا من المصاحف المكتوبة بالخطوط العربية الأخرى مجتمعة. (الصورة رقم 3)

أما خط الثلث ويعود أصل كلمة ثلث إلى النسب في كتابة حروف هذا القلم ، وإليه تنسب الخطوط المستقيمة والمنحنية ، و لان سمك هذا القلم هو ثلث القلم المستعمل في خط الطومار ² فكان مناسبة لكتابة عناوين الكتب و العبارات الدعائية ، و اللوحات القرآنية و قد اختفى هذا الخط في القرن 17م ولم يبق منه إلا البسملة التي مازالت متداولة في كتابة القرآن الكريم ³ .

د-خط المشق و المحقق :

ظهر خط المشق في عهد عمر بن الخطاب ، فكان هذا الخط منتشرا ولكن لم تكتب به المصاحف ثم يصبح هذا الخط يقابل المحقق في العصر العباسي ، فقد عدد صاحب الفهرست أسماء الذين يكتبون المصاحف بالخط المحقق "و المشق" ⁴ (الصورة رقم 4)

كما ابتكرت طريقة جديدة في كتابة المصحف الشريف فقد عرفت بطريقة "ياقوت" وتقوم على جمع أكثر من خط واحد في صفحة المصحف الواحدة، مثل خط المحقق أو خط الثلث، أو في سطرين أو ثلاثة أسطر في الصفحة الواحدة، فحين يتخلل هذه السطور خطوط أخرى بخط النسخ و الریحاني ⁵ . (الصورة رقم 5).

2-الخط المغربي:

يشمل الخط المغربي بصفة عامة على مجموع الخطوط بلاد المغرب و الأندلس و أول محطة بدأ منها هي

1-منصور بن ناصر العواجي، جماليات الخط العربي، طبعة الأولى دار طوابق للنشر و التوزيع ،2000 ص:168

2-عادل الالوسي ، المرجع السابق ،ص:49

3-عفيف البهنسي ، معجم المصطلحات الخط العربي و الخطاطين ، الطبعة الأولى لبنان، 1995 م ص: 11 3

4-محمد شكر الجبوري المرجع السابق ص88

*فهو خط سريع ممتد الحروف الذي لا تنضج حروفه بدليل قول عمر بن الخطاب في مقابلة المشق أجودا لخط لينة .

5 ادھام محمد جنش ، المرجع السابق ، ص:460

القيروان ومنها انتشر إلى باقي المناطق الأخرى ، بالموازاة مع انتشار الإسلام وإقبال الامازيغ على حفظ القرآن ، وقد استعمل الخط الكوفي في نسخ المصاحف طيلة ثلاث قرون الأولى¹ . ولا تزال الكثير من المصاحف القديمة المغربية قليلة مقارنة ما قيل عنها في المصادر التاريخية منه روض القرطاس ، و المقديسي و لسان الدين الخطيب ، ومن البديهي أن هذه المصاحف التي انتشرت في بلاد المغرب مند الفتح و التي تؤرخ لفترات مختلفة لم يعد لها وجود إلا البعض منها ما هو محفوظ في تونس و المغرب² . وعلى الغالب أن الأسلوب الأول لكتابة المصاحف ببلاد المغرب يعود إلى 50هـ-670م هو تطور عن الخط الكوفي الذي كان يكتب به ببلاد المشرق³ .

فقد ادخل الفاتحون المسلمون الخطين اللذين كان شائعين و هما الخط الحجازي و المكي اللين والخط الكوفي اليابس، ثم بدأت معالم استقلال المغاربة بخطهم تظهر و يتطور بعيدا عن التأثيرات الشرقية⁴ . ومن منظومة الخطوط التي عرفها سكان بلاد المغرب في كتابة مصاحفهم هو الخط المغربي* أو الخط القيرواني و الذي انتشر في شمال افريقية ووسطها و غربها و في الأندلس ، هو اقرب إلى خط النسخ و الثلث إذ يتميز بحروفه التي تجمع في شكلها بين حروف الخط الجاف و اللين معا ، وعلى أن أقدم ما وجد منه يعود إلى سنة 300 هـ 912م. (الصورة رقم 6)

وقد بلغ هذا الخط الجميل السلس غاية نموه في اسبانيا و المغرب في أواخر القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلاديين. ويذكر محمد المنوني "أن اغلب أهل المغرب لا يعرفون سوى قاعدة الخط المغربي وقاعدة خط النسخ

1- محمد المغراوي وعمر آفا ، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق ، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2007 ص20

2- محمد المنوني "تاريخ الوراقة المغربية" مجلة أفاق الثقافة و التراث " ع7 ، 1994 ص: 67

3- محمد المغراوي ، جماليات الخط المغربي تاريخ وفن، العدد8 مجلة الكترونية المختار ، 2012 ص : 4

4- سهى محمود لعيون "كتابة المصاحف في الأندلس" مجلة البحوث و الدراسات القرآنية العدد7: ص: 144

*مشتق من الخط الكوفي القديم وكان يسمى بالخط القيرواني نسبة إلى القيروان عاصمة بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي 50هـ.

فيندر من لا يعرفها منهم ، فيجب كتابة القرآن الكريم وطبعه بالخط العربي الذي يعرفونه و لا يشتبهون في حروفه¹

كما كانت كتابتهم بالخير الأسود الحالك أو الباهت قليلا أو بمحلول قشورا لجوز ،أو قد يصنع من مادة عطرة ويضاف لها في بعض الأحيان الزعفران الشعري².

أما من ناحية الشكل فقد كان يلتزم بلونين الحمرة و الصفرة، فتكون الحمرة للحركات والتنوين والتشديد و التخفيف و السكون و الوصل و المدة ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة، كما استحدث فيما بعد لونين آخرين هما الأزرق و الأخضر³. هذا الأخير استعمل للألف⁴.

ولما انتقلت عاصمة المغرب من القيروان إلى الأندلس ظهر خط جديد سمي بالخط الأندلسي أو القرطبي حيث نقلت إليها الخطوط الأندلسية المدورة و التامة الليونة و التي كان يكتب بها ما بين القرن الرابع و السادس الهجريين العاشر و الثاني عشر الميلاديين.

ومنذ القرن 5هـ 11م بدء انتشار الخط الأندلسي في شمال إفريقيا مع موجات المهاجرين الأندلسيين⁵ ومن أهم هذه الخطوط التي كتبت بها المصاحف هو الخط الكوفي الأندلسي الذي يتميز بغلبة الزوايا وشديد التأثير بالخط الكوفي ، أما الخط الثاني هو الخط القرطبي و هو أكثر رشاقة و يتميز باستطالة خطوطه الأفقية و تكثر فيه الانحناءات و الاستدارات⁶ و تداخل الكلمات و إطالة أواخر الحروف على خلاف الخط القيرواني الذي كانت حروفه مستطيلة مزواة⁷. ويشترك الخط الأندلسي والمغربي في طريقة النقط فالفاء لا توضع فوقها

1- محمد المنوني " بالمغرب تاريخ المصحف الشريف الوراقة المصحفية " مجلة البحوث و الدراسات في علم المخطوطات ع 79 2014 ص114

2- نفسه، ص ص: 113-114

3- المرجع نفسه ص: 114-

4- ناهض عبد الرزاق ، المرجع، السابق ص: 67

5- سهى محمود لعيون "كتابة المصاحف في الأندلس" مجلة الدراسات القرآنية"، العدد 7 ص: 147

6- محمد الطاهر الكردي المكي، المرجع السابق، ص: 117

7- يحيى وهيب الجبوري، المرجع السابق، ص: 142

نقطة كما يضعها المشاركة و إنما تجعل في أسفل الحرف و القاف لا توضع فوقها نقطتان بل توضع فوقها نقطة واحدة.¹

و يذكر ابن خلدون " أما أهل الأندلس فانتشروا في الأفطار ... في عدوة المغرب و افريقية و تعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الإفريقي و عفا عليه، ونسي خيط القيروان و المهدية و صارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس و ما إليها".²

ويؤكد محمد المنوني " أن الخط المغربي تأثر بطابع الخط المشرقي ثم الخط الأندلسي قبل أن يكتمل ويستمر من الخطوط الأخرى في العصر المريني".³

أما بحلول القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، و أن صارت المصاحف المغربية في وراقها على تقليد المصاحف الأندلسية فقد أخذت تتميز عنها حسب المصاحف المعروفة ابتداء من الفترة المرينية في أشكال الخط و في إغفال نقط الحروف الأخيرة التالية كحرف ق-ف-ن-ي وفي عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر و أول السطر التالي على عكس بعض المصاحف الأندلسية التي لا تبالي باستعمال هذا التقطيع.

ويؤكد هذا ابن خلدون بقوله : " وحصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي " فهذا الخط المذكور إنما هو الخط المغربي الذي أخذ شكله النهائي يكتمل منذ هذه الفترة ، و صار متميزا عن الخط الأندلسي في وضعه ، وفي إغفال نقط الحروف الأخيرة التالية : ن ف ق ي ، وفي عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالي ، وهكذا صار الخط المتداول بالمغرب من هذه الفترة المرينية ثلاثة أصناف : مغربي حضري ، ومغربي بدوي ، وأندلسي واختص بإجادة هذا الخط الأخير بعض الأفراد ."

1- يحي وهيب الجبوري، المرجع السابق، ص: 143

2- سهى محمود لعيون ، المرجع السابق، ص: 147

3- محمد منوني المرجع السابق، ص: 69

ويذكر أيضا ابن خلدون في هذا الشأن فصار خط أفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء الحضارة و الترف بتراجع العمران ،نقص حينئذ حال الخط و فسدت رسومه وجعل فيه وجه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها...¹ .
ثم قلت العناية بالخط الأندلسي في المصاحف التي كتبت في شمال إفريقيا وظهر بعد ذلك الخط الفاسي و تلاه ظهور الخط السوداني 14م.

و يوجد في إفريقيا الآن أربعة أنواع مختلفة من الخط المغربي و التي تنسب إلى كل قطر من أقطاره هي كالآتي:
الخط التونسي: يشبه كثيرا الخط المشرقي غير انه يتبع الطريقة المدنية في التنقيط لحرف الفاء و القاف.
الخط الجزائري : و هو على العموم حاد الزوايا ولكنه صعب القراءة .

الخط الفاسي: و يمتاز بستدارة في حروف النون و الياء و الواو و اللامات و الصاد²
الخط السوداني*: و هو على العموم خط غليظ و ثقيل و غالبا ذو زوايا أكثر مما هو مستدير وقد انتشر هذا الخط انتشارا عظيما في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بيت الشعوب الزنجية في وسط إفريقيا³.

لكن هذا التصنيف ليس حاسما فلقد كانت قسنطينة متأثرة بالخط التونسي مع الحفاظ على الشبه القيرواني وفي الجزائر استعمل الخط الأندلسي أحيانا لانحدار بعض أهلها من أصل أندلسي، ووهرا ن يقترب من الشكل المغربي الفاسي، و تأثر الخط الفاسي بالخط الأندلسي⁴.

وعلى العموم كتبت المصاحف المغربية و الأجزاء المغربية المعروفة ، فأغلبها مكتوب بخط أندلسي مغربي و أكثرها بحروف عريضة و خطوط مبسطة وقد تشدد المغاربة في التزام قواعد الرسم العثماني ، ويتعدوا عن

1-عبد ارحمن بن خلدون ، المقدمة ، الجزء الأول ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1421هـ-2001م ، ص529

2-عفيف البهنسي ، المرجع السابق، ص: 11

* وهو خط متولد من الخط المغربي في أنحاء السودان .نشأت مدينة تومتو سنة 210هـ وصارت المركز العلوي الرابع للمغرب و ليها ينسب ذلك الخط الذي سمي بالخط التوميكتي او السوداني ينظر : إياذ خالد المرجع السابق ص: 30

3- محمد الطاهر الكردي، المرجع السابق ص117

4- عفيف البهنسي، المرجع السابق ص:12

كتابة المصاحف حسب القواعد العامة للإملاء¹

كما يلفت الانتباه على أن الخط المغربي امتاز باستعمال الزخارف التي توجد في كل صفحات النص القرآني و على وجه الخصوص عناوين السور القرآنية الكوفية بالإضافة إلى تقسيم الآيات بفن التوريق الأريسك بداخل شجيرات وهي من أكثر المعالم جاذبية وجمالا في فن التذهيب المغربي²، وكان الغرض من الزخرفة و التذهيب هو استدعاء البعد الأعلى و الأعرق وعلاقة إجلال للنص القرآني.

ثم لم يزل الخط لعربي يأخذ في التحسن إلى أن انتقلت إلى الدولة العثمانية، فقد اعتني بها اعتناء كبيرا و تقدم تقدمما عظيما و بلغ درجات الكمال خصوصا في عصر الأساتذة المشهورين منهم يسارى أفندي، و مصطفى راقم و ممتاز بيك وغيرهم ، و الدليل على مكتبه من المصاحف و آلاف الأدعية و السور القرآنية كما كان يضرب بها المثل بمطابع الأستانة في نظافة الطبع و حسن الشكل والخط و العناية التامة خصوصا بطبع المصاحف الشريفة، ولكن بعد الحرب العظمى وبعد استقلالهم استعاضوا الخط العربي بالحروف اللاتينية .

لقد ورث العثمانيون هذا الفن ناضجا و ساروا به إلى الأمام حتى جرت على السنة الباحثين والمؤرخين قوله لولا الأتراك ما كان فن الخط الجميل ، وهذا بعد زوال العباسيين من على مسرح التاريخ سنة 1257م و تنتقل بعدها التفوق في الخط إلى الخطاطين الفرس و الترك .

كما اهتم الأتراك العثمانيون بالخط و اجلوه لأنه خط القران فاقبلوا على تجويده و أتقنوا تقليد الأقلام الستة التي ابتكرتها المدرسة العربية في الكوفة في القرن 7هـ ، منها الكوفي والنسخ و الثلث و الریحاني و التوقيع و الرقاع والتي عرفت بالأقلام المنسوبة .

ومن بين الأقلام التي استعملها العثمانيون و التي شاع استعمالها في كتابة المصاحف هو خط النسخ و الثلث، بالرغم من الأقلام الكثيرة التي عرفوها كا خط الرقعة و خط التعليق و الديواني و الفارسي³.

1- محمد المنوني، بالمغرب تاريخ المصحف الشريف..... المرجع السابق، ص: 111

2- ابو بكر سراج الدين ، روائع فن الخط و التذهيب القرآني و سترهام، 2004، ص: 60

3- اياد خالد الطباع، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمن و المكان ، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق الطباع ، ص: 44

* قد ترافق هذا الخط مع خط المحقق مع خط النسخ في كتابة الصفحة الواحدة من المصحف الشريف منذ القرن 7هـ/13م ، ثم بدا شكل هذا الخط وصورته تظهر بوضوح منذ القرن 10هـ/16م. ينظر ادھام حنش المرجع السابق، ص: 465

بعد خط النسخ واحد من الخطوط الأساسية التي تناولها الخطاطون العثمانيون في كتابة مصاحفهم واعتبروه الخط الأنسب لنسخ القرآن الكريم خلال أربعة قرون، وضل خط النسخ يتطور ليصبح أسهل في قرأته، و أوضح من غيره وربما كان هذا الوضوح العامل الأساسي في تبني الخطاطين العثمانيين خط النسخ وحده و أطلقوا عليه "النسخ السادة"¹ وخدام المصحف الشريف "أما خط الثلث فقد ارتقى وبلغ درجة الجمال وصارت له قواعده كما أضافوا إشارات التنقيط و الشكل بين الآيات الكريمة و علامات الأحزاب و أجزاء القرآن، كما راح العثمانيون يعنون بالخط و بالتسطير الصفحات قبل كتابتها و يعلو لكل صفحة إطارا مذهبا². كما تنوعت عناصر الزخرفة في المصاحف العثمانية من زخارف نباتية مختلفة الألوان على أرضية ذهبية أو زرقاء مع وجود الشمس المثلثة و النجمية الشكل الدالة على علامات الأحزاب، و الدوائر و المربعات الدالة على علامات الأجزاء، أما زخرفة الهوامش الجانبية للصفحات فأبرز ما نراه فيها هو الدوائر المشمسة التي تتضمن في بعض الأحيان الإشارة إلى أحزاب المصحف أو أجزائه، و يطلق على هذه الزخرفة اسم "شمسة" أخذنا من مشابقتها الشمس³، ومثال على ذلك المصحف الشريف الذي يعود للفترة العثمانية و المحفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة و الفن الإسلامي⁴، الذي يعد نموذجاً للمصاحف العثمانية، الذي جمع معظم العناصر النباتية التي يشار بها إلى الزخارف العثمانية.

و الملاحظ أن العثمانيون لم يهتموا بالخط الكوفي فاستعملوه في قلة كتابة رؤوس السور في المصاحف فضل مستخدما في صورته اليابسة في نسخ المصاحف الكبيرة، أما الخطوط الأخرى الثانوية التي استخدمت في كتابة المصاحف فقد كان استعمالها محدودا ومنها خط التعليق⁵، حيث لم يعرف هذا الخط على مستوى الوظيفة لكتابة المصحف الشريف و لذلك لا يمكن عده جملة من الخطوط المصاحف الأساسية، إذا أن بعض

1- ادهام محمد حنش المرجع السابق ص: 470

2- المرجع نفسه، ص: 471

3- محمد عبد العزيز مرزوق، المصحف الشريف دراسة تاريخية وفنية الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1975 ص: 101

4- فيصل نايم، المرجع السابق، ص: 220

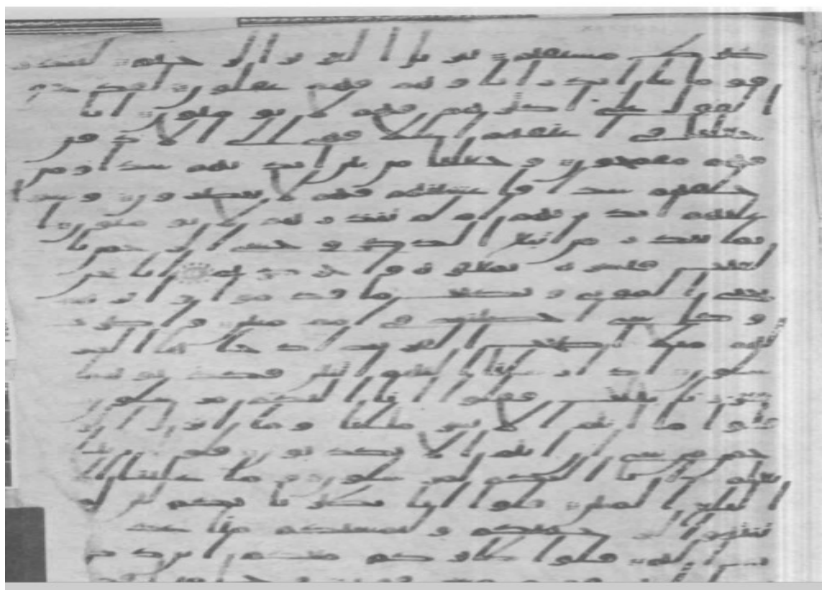
5- عفيف البهنسي، المرجع السابق، ص: 11

الخطاطين كتبوا بخط التعليق نصوص الوقفيات المصحفية المنسوخة عادة على صفحات البداية المصحف أو الملحقة، ولكن لم يكتبوا النص القرآني من أوله إلى آخره بخط التعليق إلا نادرا جدا منهما مصحفين أنجزهما شاه النيسابوري 1562م و المصحف الثاني الذي كتبه الخطاط العثماني مصطفى قاضي العسكر 1876م (خردة التعليق)♦

الخاتمة

و كخلاصة لهذا البحث يمكننا القول أن المصاحف الشريفة كتبت بأنواع عديدة عبر المراحل التاريخية الكبرى للحضارة الإسلامية، و قد انبثق هذا من حب المسلمين و قدسيتهم لكتاب الله تعالى فصار فنا من أعلى الفنون الإسلامية شأننا و أكثرها قدرة على تمثيل روح الدين الإسلامي ، فالإنتاج الهائل للمصاحف ارتبط بتطور الخطوط في العالم الإسلامي و انتشار اللغة العربية في الجزيرة العربية وفي العراق وفارس و آسيا و مصر و إفريقيا و الأندلس ، ولهذا انفردت كل بيئة بطابعها المتميز عن الأخرى و التي كانت تعبر عن دوق ومهارة الخطاطين.

♦ ولد خط التعليق في إيران في القرن 6هـ-12م و يروى أن التعليق القديم ابتكره أبو الحسن بن حسين الفارسي من قلم النسخ و الرقاع و الفلث في القرن 4هـ ، ثم أصبح له أشكال و أنواع و لقد كتب باللغات الفارسية و الهندية و التركية و العربية و بصورة عامة فان هذا الشكل لا يشكّل ولا يحمل و لقد طوره مير علي التبريزي 919هـ 1513م و يسمى نستعليق (النسخ تعليق) ينظر غفيف البهنسي ص 11



الصورة رقم 1: صفحة من القرآن بالخط المائل موجود في المتحف البريطاني على الرق هو أقدم مخطوطة من أواخر العصر الأموي خالية من الشكل و الاعجام. شكله به انضجاع يسير (أي أن الألفات بها تعويج إلى اليمين ثم ارتفاعها قليلا أما الانضجاع فيقصد به الخط المائل قليلا غير مستقيم الزوايا .



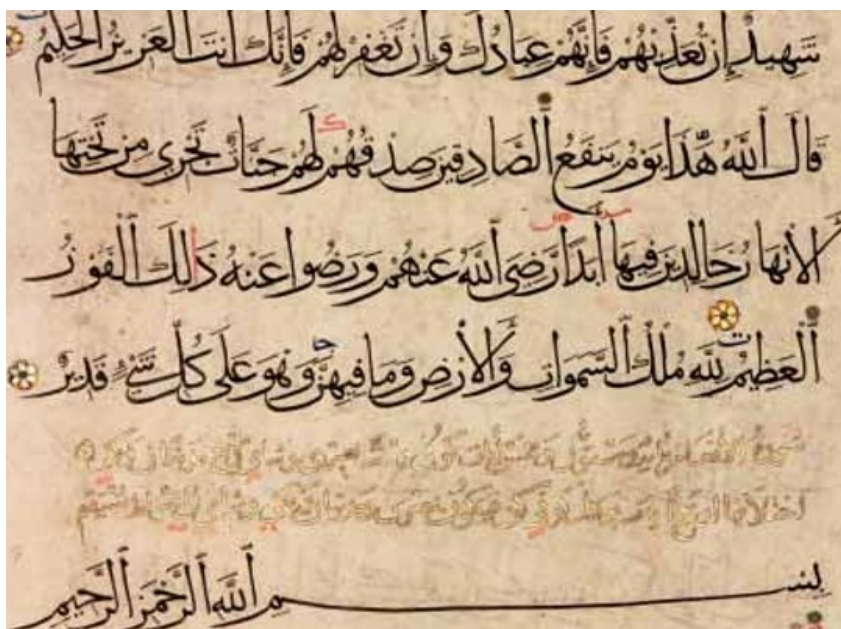
الصورة رقم 2: مخطوطة من القرن 2هـ/3هـجري : صفحة صغيرة من مخطوط قرآني خط على الرق بالخط الكوفي المكتوب بالمداد الأسود أدخلت عليه علامات الإعراب بالتنقيط باللون الأحمر على طريقة اسود الدوؤلي.



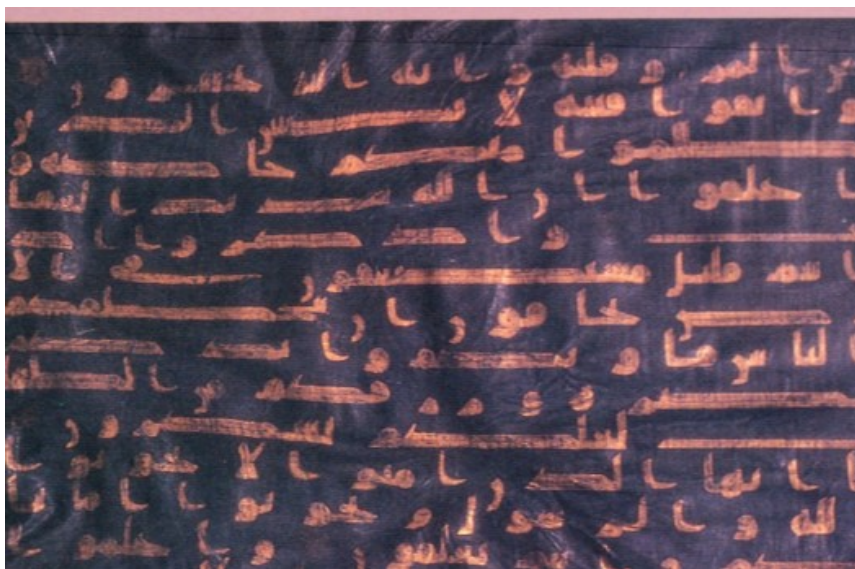
الصورة رقم 3: خط نسخي بقلم بن البواب في العصر العباسي.



الصورة رقم 4: خط الكوفي القرن 9 العصر العباسي بحروف المشق من خلال تمديد الحروف كأحرف الدال والصاد والفاء، التنقيط على طريقة أبو الأسود الدؤالي.



الصورة رقم 5: كتابة المصحف بأكثر من خط في الصفحة الواحدة بخط المحقق والنسخ .



الصورة رقم 6: مخطوطة نادرة القرن 2 هجري صفحة من مخطوط قرآني متميز كتب على الرق الأزرق النادر بالخط الكوفي المذهب يعتقد أنها كتبت في القيروان حيث اشتهرت تونس بصناعة هذا النوع من الرقوق.

البibliوغرافيا:

1-المصادر:

-عبد ارحمن بن خلدون ، المقدمة ، الجزء الأول ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1421هـ-2001م.

2-المراجع:

- وليد سيد حسنين ،فن الخط العربي المدرسة العثمانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2015 .
- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي ، الخطاط الخط العربي و آدابه مصر، 1939.
- عاد ل الالوسي، الخط العربي و نشأته، ط1 مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008.
- نصر عبد القادر ، كنوز الخط العربي ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2014 .
- عفاف المري،عثمان فيدان" المتحف الإسلامي بالشارقة دليل المقتنيات الأول" دائرة الثقافة و الإعلام 2003.
- محمد شكر الجبوري ، الخط العربي قيم ومفاهيم و الزخرفة الإسلامية ، الأردن.
- وغانم قدوري الحمد ، " موازنة بين رسم المصحف و النقوش العربية القديمة "، مجلة المورد العراقية المجلد 15 العدد. 1986.4 .
- عبد الستار الحلوجي نحو علم المخطوطات عربي، جامعة، القاهرة 2004.
- ادهام محمد حنش" ، خطوط المصاحف إشكاليات التعريف و حدود التصنيف" ، بحوث ودراسات علم المخطوط العربي 2014.
- صلاح الدين المنجد ، دراسات في تاريخ الخط العربي مند بدايته الى العصر الأموي دار الكتاب الجديد بيروت، 1979.
- عبد الرازق القيسي تاريخ الخط العربي جامعة بغداد ، 2006.6
- فيصل نايم " المصحف الجامع الجديد دراسة وصفية فنية تحليلية "معهد الآثار جامعة الجزائر العدد 14 2014.
- منصور بن ناصر العواجي، جماليات الخط العربي، طبعة الأولى دار طوابق للنشر و التوزيع ، 2000.
- عفيف البهنسي ، معجم المصطلحات الخط العربي و الخطاطين ، الطبعة الأولى لبنان، 1995 م .
- محمد المغراوي وعمر آفا ، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق ، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2007 .

- ابو بكر سراج الدين ، روائع فن الخط و التذهيب القرآني وسترهام، 2004.
- اياذ خالد الطباع، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمن و المكان ، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق الطباع.
- محمد عبد العزيز مرزوق ،المصحف الشريف دراسة تاريخية وفنية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة 1975.

3-المجلات:

- محمد المنوني " بالمغرب تاريخ المصحف الشريف الوراقة المصحفية " مجلة البحوث و الدراسات في علم المخطوطات ع 79 2014 .
- سهى محمود لعيون" كتابة المصاحف في الأندلس "مجلة البحوث و الدراسات القرآنية العدد7.
- محمد المغراوي ،جماليات الخط المغربي تاريخ وفن، العدد8 مجلة الكترونية المختار ، 2012.
- سهى محمود لعيون" كتابة المصاحف في الأندلس "مجلة الدراسات القرآنية"، العدد 7 .
- محمد المنوني "تاريخ الوراقة المغربية "مجلة أفاق الثقافة و التراث" ع7، 199.

